وإما المكابرة والعناد .. قال الجاحظ « بعث الله محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة ، وأشدّ ما كانت عدّة ، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة ، حملهم على حظهم بالسيف ، فنصب لهم الحرب ونصبوا له ، وقتل من عليتهم وأعلامهم وبني أعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه وإن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحدياً لهم به وتقريعاً لعجزهم عنها ، تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً وظهر منه ما كان خفياً ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف ، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا . قال . فهاتوها مُفتريات فلم يرُم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ... »[1] .

ويقول في رسالته (حجج النبوّة) بعد حديث مسهب عن تحدي القرآن للعرب وعجزهم إزاء تحديه : « وكذلك دهر محمد ﷺ ،

(١) عن الاتقان ٢ : ١١٧ - ١١٨